شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها

علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

HOSSAM MAGHRABY

بعض الوثائق الأصلية تالفة

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصل

HOSSAM MAGHRABY

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها
بشعبة الدراسات الإسلامية

منهج
القاضي أبي بكر بن العربي
في كتابه
« قانون في التأويل لعموم التنزيل »

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآداب

عبد الحميد محمود رزق غانم

إشراف

الأستاذ الدكتور/ مصطفى الصاوى الجويني

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

"بيان بالكلمات المرشدة"

- القانون هو أ) الثبات والاطراد القابل للتكرار عند تحقق شروطه.
ب) الصورة الكلية المنطبقة على جزئياتها بحيث نتعرف منها على أحكامها .
ج) مقياس الشيء

- التأويل هو بيان الوجوه الموافقة لألفاظ الوحي قرآنا وسنة .

- التوحيد هو العلم الدال على ما يليق بالله تعالى , ويندرج تحت الغيبيات .

- الأحكام هو العلم الدال على أفعال المكلفين وفق مرادات الوحي وضوابطه .

- التذكير هو العلم الدال على سبل الهدي الشرعي في المواعظ والرقائق والمواجيد .

- معارف الوحي هي جملة العلوم المستنبطة من القرآن والسنة بطريق العبارة أو الإشارة المعتبرة .

- تقسيم العلوم هو العلم الدال على كيفيات تناول المعارف وتصنيفها بحسب أهميتها في موازين الوحي .

- ضرب الأمثال هو العلم الجامع لسبل الوحي في تقريب المعارف إلى الأذهان , وبثها في النفوس .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . وأشهد ان لا اله الا الله وحده ، خلق فسوى وقدر فهدى وعلم بالقلم ورفع الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات . واشهد ان محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير من تعلم وخير من علم .. وبعد :

فإن اهل العلم قد اصطلحوا على ان نصوص القرآن قطعية الثبوت ، وانها تنقسم الى : قطعى الدلالة وظنى الدلالة . كما اصطلحوا على ان نصوص السنة ظنية الثبوت . وأنها تنقسم ايضا الى : قطعى الدلالة وظنية الدلالة .

ولأن نصوص الوحى محدودة بالقياس الى مستجدات الحياة ، فان الضرورة تقتضى تنزيل جديد العصر على نصوص الوحى ، واضعين فى عين الاعتبار ان سيادة ما هو قطعى الدلالة من نصوص الوحى انما تمثل الحقيقة الموضوعية بكمالاتها وتأتى واقية للفكر البشرى من شطط الانفلات ، بقدر ما تبقى حركة الفكر البشرى دليلا تطبيقيا على حكمة الشارع فيما انزل من نصوص ظنية الدلالة ، بحيث يظل الوحى نهرا عميقا متدفقا يعين عمقه على تدفقه ويدل تدفقه على عمقه .

ولما كان التفسير يعتمد على النقل الصريح ، ويدل بطبيعته على قريب المعنى وظاهره ، فإن التأويل يتوقف على الفهم الصحيح ، ويعنى بالدلالة على بعيد المعنى وما يترتب على الاستنباط من ثمرات . وإن الفاظ الشرع لا تحمل كلها على ظاهرها ، كما لا تخرج كلها عن ظاهرها ، ومن ثم فإن التأويل هو فن الجمع بين المنقول والمعقول لرفع ما ظاهره التعارض بين ظاهر القول وباطنه.

وليس من شك فى أن الواجب يقتضى النظر فى نصوص الوحى بعين التأويل مع التفسير طلبا لهدايات التنزيل واستنطاقا لمعارفه واستهداءاً لمقاصده ، شريطة أن يستند التأويل الى شروطه المعتبره ، فلقد نشأ الاختلاف فى التأويل عندما تجمعت دواعيه التى مثلها : البعد عن هدايات عصر الرسالة والرشد ، وتسرب افرازات الفكر الوافد من البلاد المفتوحة ، والمواقف الدفاعية التى اتخذها العقل المسلم امام رشحات اهل الكتاب ، وظهور علم الكلام ،والترف الفكرى الذى قاد الى محاولات التعرف على كنه المراد من متشابه الوحى ، بجانب العجمة التى اصابت اللسان العربى بعد الفتوح .

إن تلك الدواعى قد مهدت السبل لظهور مزالق لم تكن مألوفة من مثل : البحث فى اسماء الرب تعالى وصفاته ، والأولية فيما أوجبه الله على المكلفين ، والاستثناء فى الايمان ، والقضاء والقدر ، وافعال الله افعال العباد ، والقول بخلق القرآن ، والمفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ، وأبدية الجنة والنار ، والتحسين والتقبيح العقليين .. ونحوها .

أن غيبة الشروط المنهجية للتأويل قد أوقع العقل المسلم فى محنة ، واستهلك زمناً طويلاً، وجهداً كبيراً من طاقاته الإبداعية ، بحيث عطله عن التفرغ لدوره الكبير فى ملاحقة افرازات النشاط البشرى والطارق المعاشى تحقيقاً للتعادل الموضوعى بين الإسلام والعصر ، بحيث لايحدث سبق للدنيا فى مقابلة الدين يسمح بحدوث هوة بين التراث والمعاصرة .

كما أن الجهل بالمعايير المنهجية للتأويل قد سمح للفكر الاستشراقى والعلمانى بمحاولة النفاذ الى المنظومة الفكرية للإسلام بعد ما اعياهم النفاذ اليها من بوابة العلوم الإسلامية الاخرى .

وما هذه الأطروحة إلا محاولة علمية لرسم مرجعية شرعية ، وتأصيل جملة المعايير المنهجية ، واستخراج الضوابط والقواعد والقوانين العلمية المعينة على فهم معارف الوحى ذات الدلالات الظنية بما يعين على إيجاد الحلول الشرعية للقضايا الحيوية تحقيقاً للغاية الالهية من تعبيد الخلق لخالقهم . ولا تتم عبادة بغير علم ونية ، وليس أرقى من علوم الكتاب والسنة.

والواقع أن هذا العمل لا ينسب الى علم معين من العلوم الاسلامية ، وإنما هو تحرير مجموع فى علوم الوحى ومعارفه ، يجمع شتيت الفوائد ومنثور المسائل وأقوال العلماء ليخرج من مجموعها مدارج تعين السالك على فهم مقاصد الوحى وهداياته . لم يكتف صاحبه بوضع قوانين لتأويل آى الكتاب ، وإنما تناول طرائق فهم السنة ، ومن ثم وصفه فقال "من وجده فإنه لباب الالباب وشارع عظيم الى كل باب" .

لقد بدأه أبو بكر بن العربى كمشروع تلخيصى لتفسيره الكبير (أنوار الفجر فى مجالس الذكر) الذى كتبه فى عشرين عاماً ووقع فى ثمانين ألف ورقة ، ثم إنه طور ذلك المختصر الى منظومة جمعت قوانين التأويل التى تناولت طرق فهم الكتاب والسنة ، فجاء عملاً غير مسبوق الشمول ، قدم له بقوله "إن كل آية أو كلمة فى القرآن أو السنة إنما تقع تحت واحد من أقسام ثلاثة جمعت كل مقاصد الوحى وهى : التوحيد والأحكام والتذكير " ثم أتى ابن العربى على ذلك بأدلته وعقد للآية الواحدة أكثر من عشرين مسألة أجاب عنها جميعاً .

إن هذا المصنف واحد من أواخر مصنفات أبى بكر بن العربى إتماما وتدوينا ، مما يشى بأنه كاشف عن عقيدته ومنهجه ، وجامع لعلومه ومعارفه ، ودال على أنه موسوعة فكرية ثرية فى شتى العلوم الإسلامية ، متكلم نظار ، عالم بالأقوال والتوجيهات ، جمع علوم عصره ، وأخذ ممن قبله ، وأفاد من بعده . كما أن المصنف جهد أصيل فى تقسيم العلوم ، وفنون التربية ، ونظريات التعليم ، وأمهات القضايا ، والتفريع على الأصول ، والتنسيق بين المسائل مع مقدرة فذة على انتقاء اللفظ وإثراء المعنى ضمن بناء عضوى محكم .

ولقد خرجت هذه الأطروحة في ثلاثة أبواب :-

الباب الأول : العمل وصاحبه

وتناول ثلاثة فصول :-

الأول : عصر أبي بكر بن العربي

وفيه : عصره السياسي ، والفقهي ، والعقدي ، والصوفي ، والثقافي والعلمي .

الثاني : سيرته

وفيه:نسبه ، ورحلته العلمية ، وثقافته ، وعقيدته ، وآثاره الفكرية ، وتلاميذه ، وأخلاقه ، وجهاده ، ومناصبه ، وأخريات حياته .

الثالث : التعريف بالعمل

وفيه : أسماء العمل وتوثيق نسبته إلى صاحبه ، والنسخ المخطوطة ، ومحاولات التحقيق ، وطريقة وضعه والغاية منه .

الباب الثاني : معارف الوحي

وتناول ثلاثة فصول :-

الأول : تقسيم العلوم

وفيه:تقسيم العلوم بين التأصيل والتقليد ، وطرق تقسيم العلوم عند أبي بكر بن العربي ، ومدارك العلوم ، ومراتب العلم وكيفيات طلبه ، وأدب العلم وشروطه والحجب المانعة منه ، ونظرية أبي بكر ابن العربي في التعليم .

الثاني : علوم القرآن والسنة

وفيه : مجال علوم القرآن ، وضوابط التفسير عند أبي بكر العربي ، وعلم الباطن ، وأسباب النزول ، والمحكم والمتشابه ، وعلم المناسبات القرآنية ، وعلم العربية وسيلة من وسائل التفسير ، وذوق أبي بكر بن العربي التفسيري ، وتناولاته من السنة .

الثالث : ضرب الأمثال في القرآن والسنة

وفيه : المثل في اللغة والاصطلاح ، وتعريف أبي بكر بن العربي للمثل ، ومشروعية ضرب الأمثال والحكمة منها ، وجهود أهل العلم في دراسة أمثال القرآن والسنة ، وأنواع الأمثال في القرآن والسنة ، وأدب التعامل مع أمثال القرآن والسنة ، وموقع ضرب الأمثال من التأويل عند أبي بكر بن العربي،وصور ضرب الأمثال في القرآن والسنة عند أبي بكر بن العربي .

الباب الثالث : التأويل ومجالاته

وتناول خمسة فصول :-

الأول : التأويل في التراث الإسلامي

وفيه : التاويل في اللغة والاصطلاح،وموقف أهل العلم من التأويل قبولاً ورداً ،والفروق بين التفسير والتأويل .

الثاني : التوحيد

وفيه : العلاقة بين العقل والنقل،وطرق معرفة الله تعالى ، وتأويل الأسماء الحسنى ، والصفات الإلهية ، والصفات الخبرية والاختبارية ، وعلم الله تعالى بالكليات والجزئيات ، وأفعال الله تعالى وأفعال العباد ، وعصمة الأنبياء ، ووزن الأعمال ، وتعقباته للفرق والفلاسفة والمتصوفة .

الثالث : الأحكام

وفيه : تفتحه الفقهي ، وتناوله لعلم الأحكام ، وجمعه بين القراءات ، وتوجيهاته اللغوية ، وجمعه بين جملة من العلوم يستخرج منها حل المسألة ، وتوجيهه للحكم الشرعي ، وتناوله للنكت القرآنية ، وتصنيفه لما ورد في حق الرسول ﷺ من أحكام .

الرابع : التذكير

وفيه : طريقته في تناول علم التذكير ، ومعرفة النفس ، وأقسام النفس ، وموقع النفس من الجسد ، ومعرفة الرب تعالى ، والروح ، وأصول الفضائل ، وتيسير العمل بالعلم ، وشرح الصدور .

الخامس : التقويم

وفيه : القيمة العلمية للعمل ، واتصال العمل بغيره من المصنفات ، والقوانين التي اشتمل عليها العمل ، ومآخذ على العمل .

الخاتمة : وفيها أهم ما انتهى إليه البحث

وبعد .. فليس إنسان يكتب كتاباً في يوم إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر .

ولقد أعملت النظر دراسة وتحليلاً في هذا العمل الموسوعي (قانون في التأويل لعموم التنزيل) للقاضي أبي بكر بن العربي ، كواحد من الأعمال المنهجية الجامعة لعلوم الكتاب والسنة ، وحاولت الإبانة عن منهجيته وقيمته العلمية ، لكن العلم أكثر من أن يحاط به ، وليس عمل يخلو من جهة نقد كائناً من كان مصنفه ، وفيما بين ذلك سقطة الرأي وزلل القول ولكل كاتب هفوة ولكل صارم نبوة . فإن يكن في العمل جهد فهو من فضل الله تعالى ، وأما النقص فهو من الشيطان ونفسي (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي) يوسف ٥٣ .

الباب الأول

العمَـــل و صَاحبـــهُ

و يتكون من :-

الفصل الأول : عصر أبي بكر بن العربي

الفصل الثاني : سيرتـه الذاتيـة

الفصل الثالث : التعريف بالعمل

الفصل الأول

عصر أبي بكر بن العربي

و يشتمـــــــــل على :-

١- عصره السياسـي

٢- عصره الفقهـي

٣- عصره العقـــدي

٤- عصره الصوفـي

٥ ـ عصره الثقافي و العلمي

مدخل :-

عاش أبو بكر بن العربي(٤٦٨-٥٤٣هـ) فى عصر , هو ثمرة لعصور سبقته في المشرق والمغرب على السواء, وتوزعت حياته بين المغرب حيث النشأة وبداية التكوين , وبين المشرق فى رحلته طالبا للعلم وحاجا , لأحد عشر عاما , ثم فى المغرب معلما وقاضيا و مجاهدا و مفكرا .

كان المشرق فى تلك الفترة متعبا من داخله , مهددا من خارجه ,فالخلافه العباسية تتراجع إلى حدود بغداد, والدولة تعايش جملة من الصراعات العصبية والتفكك الإقليمى, والفرنجة يعملون لمهاجمة سواحل الشام من إنطاكية إلى عسقلان , والساحة ملأى بمساجلات أهل الفقه والحديث والتفسير والفرق والكلام.

فى ذلك الوقت .. كانت أفكار أبي حامد الغزالي ٥٠٥هـ تلقى اشتهارا فعلى يديه تقدم الفقه الشافعى, وطريقة الأشاعرة فى الحجاج, وهى الطريقة التى بناها أبو الحسن الأشعري ٣٢٤هـ فى كتابه "مقالات الإسلاميين" ليهدم بها المعمار الفكرى لفرق المعتزلة.

وظهر "إحياء علوم الدين" ليقدم نظرية فى الفقه والتربية , كما ظهر " تهافت الفلاسفة" ليضع الفواصل بين فلسفة الفقه وفقه الفلسفة , ويؤسس لاستقلال الفلسفة الإسلامية , ويعيد ترتيب الحدود بين ما هو قرآني وما هو يوناني, ويبين عن مضار الخلط بين الشريعة والأفكار الإغريقية , بحيث قدم ما يسمى بـ"المنهج التفكيكي" وقصد به هدم الفلسفة اليونانية من الداخل, وهو المنهج الذى عابه ابن تيمية ٧٢٨هـ وأنشأ مكانه " المنهج الهدمي" وقصد به هدم أفكار الفلاسفة من الخارج دون الدخول إلى حقولهم.

ولم يكن المغرب أفضل حالا من المشرق,إذ ظهر فيه التفكك السياسى, والانقلابات , وتعدد الدويلات, وتراجع المد الإسلامي فى الأندلس,وكان أهله يدينون بالمذهب المالكي, وقد انتشرت فيهم طرق مختلفة لتأويل متشابه الوحي, وبدا تأثر المالكية بمنهج الحنفية فى الرأى والقياس,ومدرسة المتكلمة الشافعية فى أصول الفقه, وطريقة الأشاعرة فى الكلام, وظهرت محاولات توفيقية بين المالكية والحنفية من جهه ,وبين المالكية والشافعية على طريقة المتكلمة الأشعرية من جهة أخرى, لكن هذه المحاولات بقيت مكتفية بطبقة النخبة دون جماهير الأمة, كما عرف المغرب المذهب الظاهري الذى رفض الكلام فى التأويل وتمتع ببعض الانتشار حتى نهاية عصر الموحدين , الذين نجح مؤسسهم ابن تومرت ٥٢٤هـ فى خلط الأشعرية بالشيعة ,فأخذ الطريقة الأشعرية فى الاعتقاد وكتب فيها "المرشدة , والتوحيد" واعتنق عقيدة "عصمة الإمام " وكتب فيها " الإمامة".

هكذا بدا المغرب,وقد غلب عليه:انتشار التفكك السياسي, والجمود الفقهي, والتعصب المذهبي , والتقليد المذموم , والوساطة الفكرية , والنكير على المخالفين , والخلافات الكلامية , والرياضات الروحية , والأفكار الفلسفية , والتصوف البدعي, وتأثر الناس بما يدين به الحكام من : آراء كلامية , ومذاهب فقهيه , واتجاهات فكرية , ورشحات عقدية , وإن بقيت فى هذا العصر لمعات من نور أضاءها بعض أهل العلم ممن أنكروا على أهليهم ذلك الصنيع .

١- عصره السياسي :

عرفت بلاد الأندلس الصراع في عهد الولاة لنحو خمسين سنة (٩٣ -١٣٨هـ) مثلتها العصبية بين آل قحطان و آل عدنان . حتى تمكن عبد الرحمن الداخل من وأدها.(١)

و لم يلبث المغرب الكبير أن دخل فترة من الانقسام ، منذ فرض عبد الله بن الحَبحاب الجزية على مسلمي البربر ، الذين يمثلون ثلاثة أرباع الجيش الفاتح لبلاد الأندلس ، مما دفعهم إلى اعتناق مذهب الخروج ، فانقسم المغرب مع منتصف القرن الثاني الهجري إلى أربع دول هي :- الأغالبة في " تونس " ، بنو رستم في " تاهرت " ، بنو مدرار في " سجلماسة " و الأدارسة في " المغرب الأقصى " ، الأمر الذي مكّن للشيعة الفاطميين استثمار ذلك الانقسام . (٢)

و منذ منتصف القرن الثالث الهجري ، أطل عصر الطوائف الأول بصور من الصراع، الذي ما إن توقف لخمسين سنة على يد عبد الرحمن الناصر ، حتى أطل عصر الطوائف الثاني لثمانين سنة (٣٩٩-٤٧٨هـ) سقطت خلاله الدولة الأموية في الأندلس ٤٢٢هـ ، و مشى البريد في الأسواق و الأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ، و لايكنفهم أحد .(٣)

انتهى ذلك العصر بسقوط "طليطلة " في يد النصارى ،و انقسمت بلاد الأندلس إلى اثنتين و عشرين دولة ، أشهرها بنو جَهْوَر في "قرطبة "وسنافسوقم" بنو عباد اللخميون " (٤) ،و المغاربة أو البربر(٥)، و الصقالبة الذين تعود جذورهم إلى السبي الإسلامي للشعوب السلافية(٦) و كالعادة حاول كل فريق أن يضفي على سلطته صبغة روحية ، فأقام خليفة يستمد منه شرعيته . (٧)

يصف ابن حزم حال تلك الدول بقوله " و الله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لعبدوها "(٨)

و يقول عنهم ابن شرف :-

مما يزهدني في أرض أندلسٍ ... أسماء معتمدٍ فيها و معتضد

ألقاب مملكةٍ في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد (٩)

---

(١) انظر : جمهرة أنساب العرب ابن حزم ٣٤٢ ط ، القاهرة

(٢) ,, : المصدر السابق ٣٤٦

(٣) ,, : أعمال الأعلام ابن الخطيب ١٣٩ و بعدها ط ، بيروت

(٤) ,, : جمهرة أنساب العرب ابن حزم ٣٩٨

و فيات الأعيان ابن خلكان ١١٢/٤ ط ، مكتبة النهضة ، القاهرة

(٥) ,, : أعمال الأعلام ابن الخطيب ١٤٨

(٦) ,, : في التاريخ العباسي و الأندلسي د . العبادي ٤٦٦ ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣م

(٧) ,, : أعمال الأعلام ابن الخطيب ١٧٩ ، ٢٥٢

(٨) ,, : جمهرة أنساب العرب ابن حزم ٤٠٢

(٩) ,, : نفح الطيب المقري ١٩٨/١ ط ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ